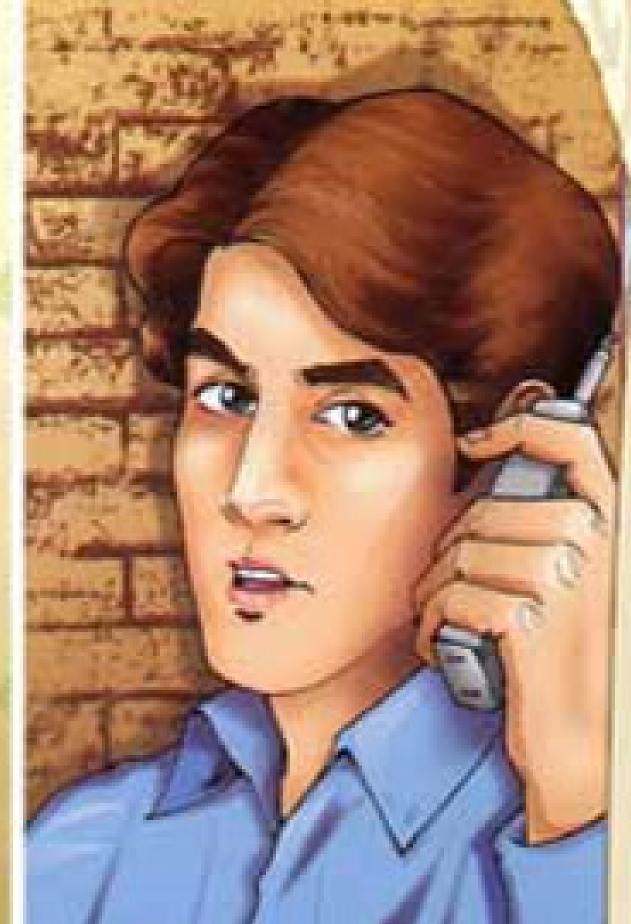

موسوعة أهل البيت المصورة
٩
الإمام المهدي عليه السلام
ما هو الإنتظار ؟
إعداد : عامر ملا عيدي

اتصل فوّاز الطالب في الصف الثالث المتوسّط بالسيد حسن صباح هذا اليوم هاتفياً. وأخبره أن مجموعةً من زملائه الطلاّب يودّون اللقاء به، وتوجيه عددٍ من الأسئلة إليه عن مسألة الانتظار التي يعتقدُ بها أتباع المذهب الإمامي، هذه الأسئلة التي تدور بأذهان الطلاب ومنهم فوّاز منذ زمن، فقد سمعوا كثيراً عن الانتظار، والإمام الغائب الذي سيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً.

وأخبر فوّازُ السيّد حسن أنه وزملاءه يعرفون صفاتِ الإمام المنتظر ﷺ واسمه ونسبه الشريف ومنزلته عند الله تعالى، وفي قلوبِ المنتظرين فقال السيّد حسن لفوّاز:

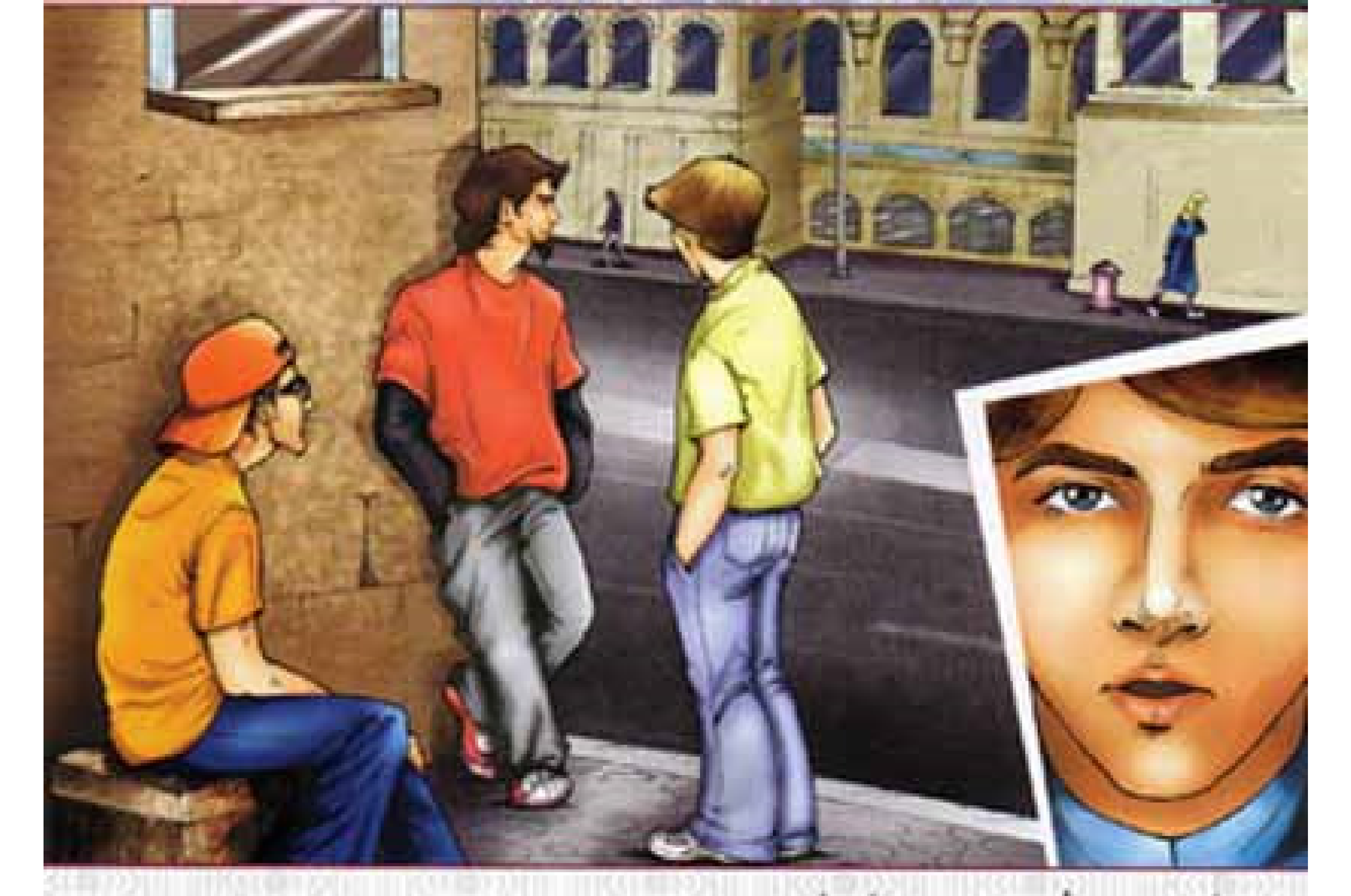
لقد فهمت قصدَك وما يريدُه زملاؤك الطلبة، فإنكم ستركّزون على مسألة الانتظار، وتريدون معرفة المزيد عنها. وأنا مستعدٌ للإجابة عن كل تساؤلاتكم غداً في بيتي.



في عصر اليوم الثاني حضر فوّاز وزملاؤه إحسان ونافع وزيد إلى بيت حسن الذي رحّب بهم أجمل ترحيب، وجلس الجميع في حديقة الدّار. وقام فوّاز يعرّف السيِّد حسن بزملائه الثلاثة الذين حضروا معه لهذه الندوة المصغرَّة عن الإنتظار.

وبعد أن تعرّف السيد على الأولاد، أخذ يتحدّث لهم حديثاً عامّاً عن مسألة الانتظار، وذلك من أجل شحذ أذهانهم وتوجيهها نحو القضية، كي ينتخبوا أسئلةً دقيقةً ومفيدةً وهامّة، فقال:

لقد أصبحت مسألة الإنتظار من المسائل المهمّة عند المدارس الإسلامية على مختلف أفكارها وميولها، وشغلت حيّزاً كبيراً من فكر وبحوث المفكّرين الإسلاميين، بل وتعدّى الأمر إلى غير المسلمين، وشغل وما يزال يشغل حيّزاً كبيراً من عقول المفكّرين والناس أجمعين على مختلف دياناتهم ومستوياتهم العقلية، وكلُّ فردٍ من هذه الأرض يتمنّى ظهور المنقذ الذي يسير بالبشريةِ إلى برِّ الأمان.



ابتدأ فوّاز بالأسئلةِ بعد أن أنهى السيِّد حسن مقدمته عن الإنتظار، فقال: أكثر الناس من المسلمين عدا أتباع مذهب أهل البيت ﷺ، ينظرون إلى مسألة الإنتظار على أنها حالة سلبيّة يعيشها الفرد، فهو ينتظر شخصاً لم يره، بل سمع عنه فقط، ألا تعتقد يا سيِّد حسن أنَّ مسألة الانتظار هي حالة سكونٍ وانطواء على النفس، بل هي تجميد للطاقات الإنسانية المتحرِّكة بحجّة انتظار الموعود الذي سيظهر وينقذ الناس من الظلم؟!

شكر السيد حسن فوّازا على هذا السؤال المهمّ والجميل، وقال: هذه النظرة يا أولاد لمسألة الانتظار نظرة قصور في الوعي والإدراك، وعدم استيعاب الفكر والعقيدة الإسلامية استيعاباً كاملاً، بل هي نظرة سطحية غير عميقةٍ.

ولم تأتِ مثل هذه النظرة والأفكار من الفراغ، بل هنالك أسباب كثيرة ومهمّة أدّت إلى نشوئها وهيمنتها على أفكار الكثير من المسلمين، من غير أتباع مذهب أهل البيت ﷺ، وسأذكر أهمّها.



اشتاق الأولاد كثيراً لمعرفةِ أهمّ الأسباب التي أدّت بالكثير من المسلمين إلى النظر لمسألة الانتظار كمسألةٍ سلبية تجمّد الطاقات الإنسانية، وأنّها نظرة اتكاليّة. وعرف السيّد شوق الأولاد للجواب فقال مبتسماً:

الظروف السياسية التي مرّت بها الأمّة الإسلامية، وعمل الحكّام المتسلّطين على رقاب هذه الأمّة في محاربة الفكرة المهدوية خصوصاً بعد زمن الغيبة الكبرى.

أدّت إلى مثل هذه النظرة الاستهزائية بمسألة الانتظار، وقد جنّد الحكّام والسلاطين المعادين لآل محمد ﷺ كلّ رجالهم للترويج إلى أنّ فكرة المهدي عليه السلام هي فكرةٌ غير موجودة، وذلك لنكران هؤلاء الحكّام حق أهل البيت عليهم السلام في الإمامة، فإذا اعترفوا بقيادةِ الأئمة المعصومين عليهم السلام بقيادة الأمّة، لم يبقَ لهم دور في الحكم، ومعنى ذلك أنّهم سيخسرون الكراسي ويخسرون الدنيا التي تكالبوا عليها، وباعوا دينهم وآخرتهم من أجلها.



وهنا بادر حسّان للتعليق على حديث السيِّد حسن قائلاً: صحيح ما قاله السيِّد، فإذا اعترف الإنسان بقضيةٍ وصدّقها كأمرٍ واقعٍ، فلابدّ له أن يسير وفقها، ومعنى ذلك تسليم الحكّام كراسي الحكم لمَن يستحقّها، وهنا شكر السيد حسّان على حُسن متابعته وذكائه، وقال مضيفاً: لذلك سعى الحاكمون والظالمون ومن سار على نهجهم إلى إلغاء القضية المهدوية من أذهان الناس، أو التقليل من شأنها على الأقل إن لم يستطيعوا إلغاءها، وراحوا يستهزئون بالقضيّة ويعتقلون المؤمنين الذين يقولون بضرورة انتظار المهدي ﷺ، والعمل على تهيئة الأرض لخروجه المبارك ليحكم بما أنزل الله في كتابه الكريم، وبسنّةِ رسولِ الإنسانية مُحمّدٍ المصطفى ﷺ الصحيحة، وسيرةِ أجداده وآبائِه من الأئمة المعصومين ﷺ الذين أوجب الله طاعتهم في كتابه العزيز حين سمّاهم بالقربى، وقال: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وأذهب عنهم كل سوءٍ ورجسٍ وطهّرهم تطهيراً.



بعد أن استمع الأولاد إلى جواب السيّد حسن، استأذن نافع من السيّد وزملائه في أن يوجّه سؤاله الأول، فأذن الجميع له، وقال: سيّدنا العزيز، حدّثنا بهذه المناسبة عن المسيح (عليه السلام) وبقائه حياً، وكذلك الخضر (عليه السلام)، وما هي علاقة حياتهما الشريفة بمسألة الانتظار وقضيّة الإمام صاحب العصر والزّمان (عجّل الله فرجه)؟ !قال السيّد: إنّه سؤال جميل جداً، وله علاقة مباشرة بمسألة الإنتظار التي اجتمعنا للحديث عنها.

فكلّ المذاهب والتيّارات الإسلامية تُقرّ بوجود السيّد المسيح (عليه السلام) الذي سيكون ظهيراً للإمام المهدي (عجّل الله فرجه) في نهضته المباركة، وقد ادّخره الله تعالى لهذه المهمّة الإلهية الكبرى في الأرض، وكذلك العبد الصالح الخضر (عليه السلام) الذي أبقاهُ الله حياً منذ زمن موسى (عليه السلام) إلى يومنا هذا، وسيظل حياً يُرزق إلى ظهور وخروج إمامنا المهدي (عجّل الله فرجه) ،ليخرج معه وينصره ويعينه في مهمّة قيادة المجتمعات الإنسانية نحو صراط الله العزيز، وبرّ الأمان.



ثمَّ التفت السيِّد حسنٍ إلى نافع وسأله:

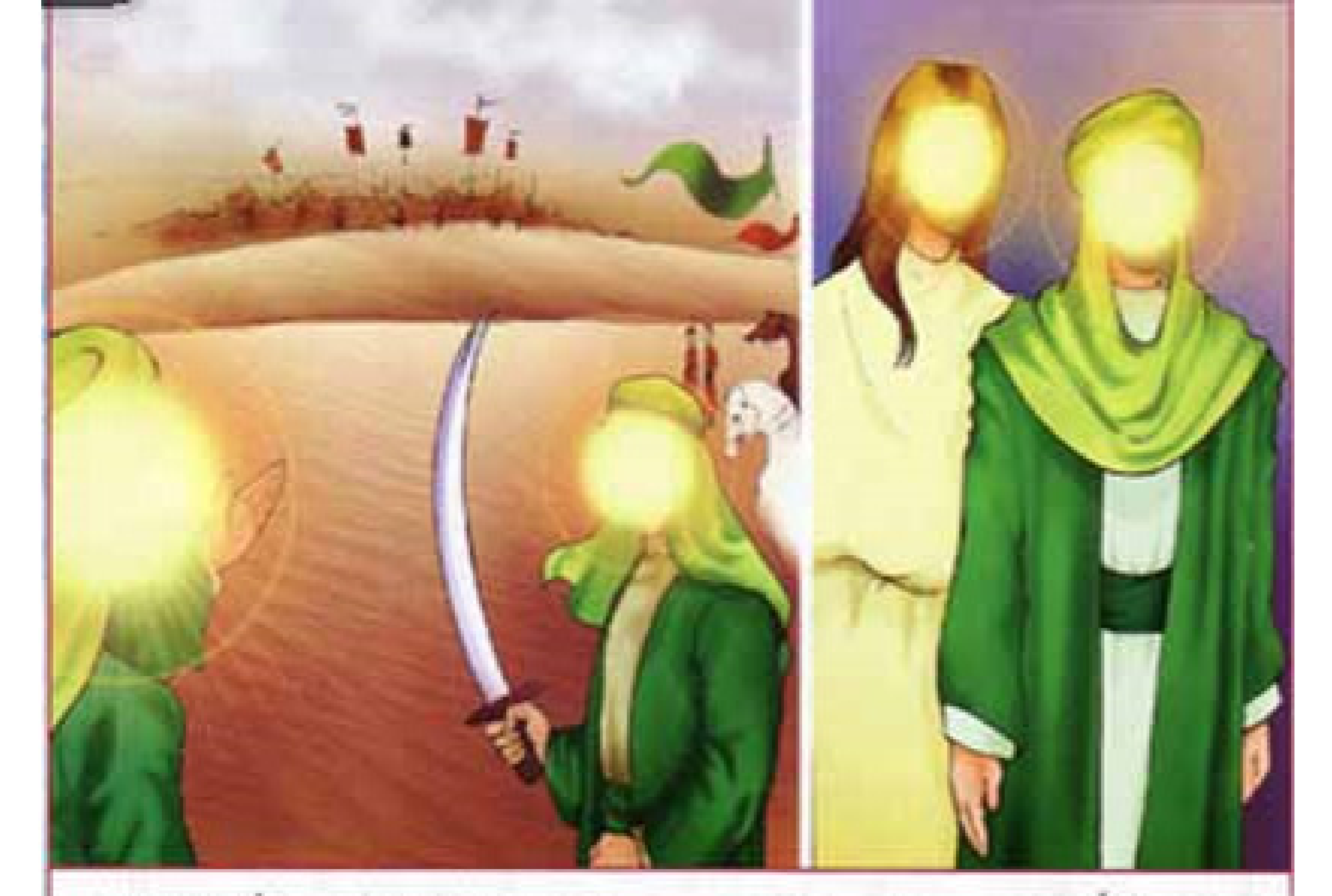
ولدي نافع أليس كلّ المذاهب والتيّارات الإسلامية تؤمن بحياة السيِّد المسيح والخضر عليهما السلام؟!

فأجاب نافع: بلى يا سيِّد، وحسب ما أعرف وما لديَّ من معلومات أن الجميع يؤمنون ببقائهما أحياء إلى الوقت الحاضر.

فقال السيِّد: ولماذا يؤمنون بحياتهما وبقائهما طول هذه المدة من الزمن؟

قال نافع: لابدَ أنَّ الله تعالى ادّخرهما لمهمةٍ كبرى سيقومون بها.

وهنا تبسم السيِّد حسن، وقال: لماذا يؤمن الجميع بحياة السيِّد المسيح والخضر عليهما السلام؟! فما هو المانع من بقاءِ الإمام المهدي حيّاً كما في المسيح والخضر عليهما السلام؟! أليست مهمة المسيح والخضر عليهما السلام مهمة إلهية، وكذلك الإمام المهدي عليه السلام مهمته إلهية. فلا المسيح والخضر ولا المهدي عليهم السلام ادّخرهم الله لقضيةٍ دنيويةٍ كالسلطة أو الأموال والجاه وغيرها من مسائل الدنيا، وما دام الهدف واحداً فلماذا لا نقبل بفكرة الإمام عليه السلام القرآنية؟!



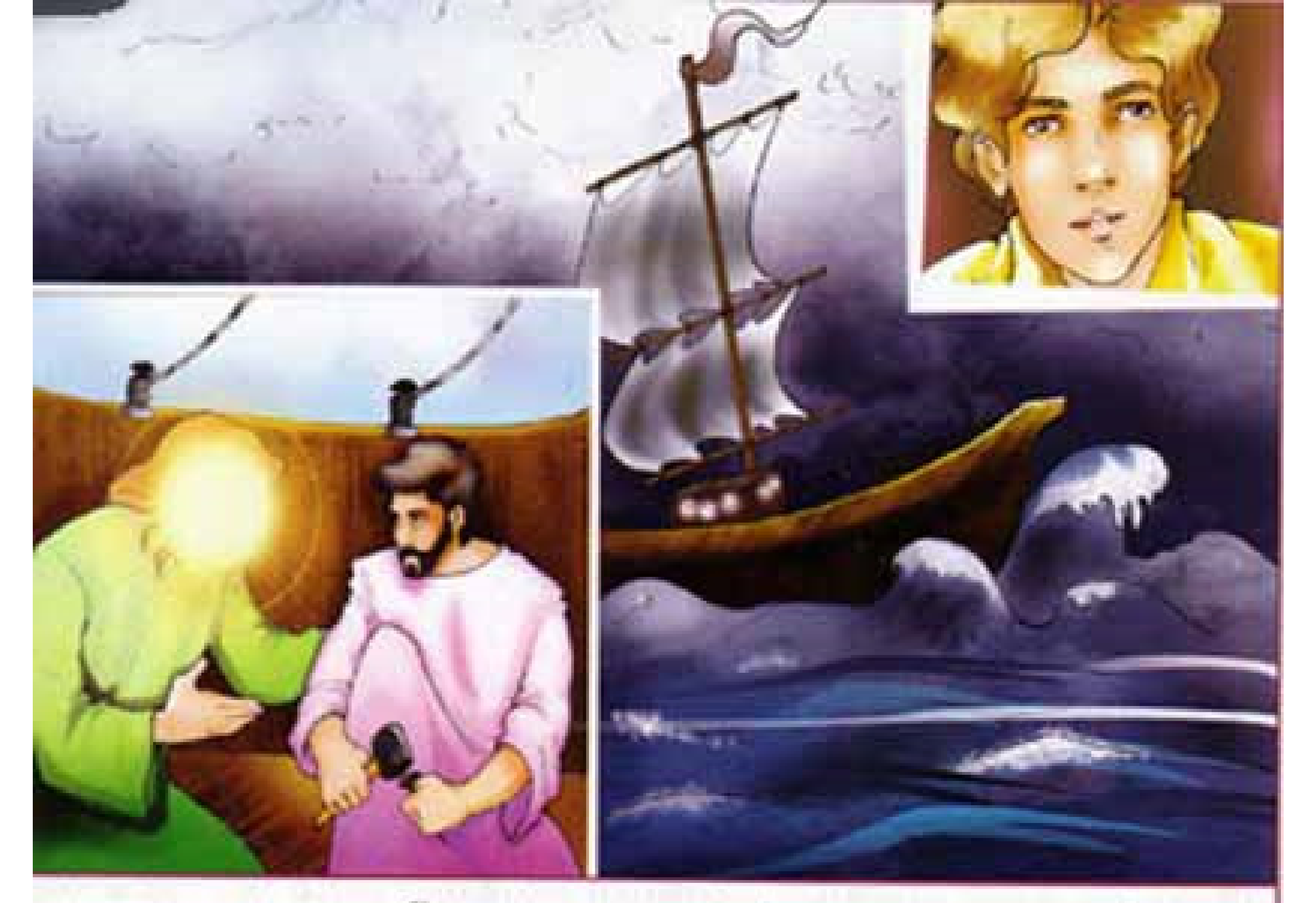
تعجَب الأولاد من جواب السيّد حسن الجميل والواقعي، وأضاف نافع قائلاً: أجل، أليس السيد المسيح ﷺ والإمام المهدي ﷺ ادّخرهم الله لإقامة الدولة الإسلامية الكبرى، فلماذا نقبل بفكرة بقاء السيد المسيح ﷺ حيّاً ولا نقبلُ بفكرةِ الإمام المهديِ ﷺ، أليس الخضر ﷺ ذلك العبد الصالح مدخوراً من قبل الله تعالى لقضيةٍ ومهمّةٍ إسلاميةٍ كبرى، وكذلك الإمام المهديِ ﷺ؟!

أليس هؤلاء الثلاثة ﷺ يشتركون في هدفٍ إلهيٍّ واحدٍ، وليس بين مهمّة كلِّ واحدٍ منهم فرق؟! ثم قال نافع: ولكن لماذا لا يكون النبيُّ عيسى ﷺ هو القائد المنتظر، باعتباره نبيّاً ويكون الإمام المهدي ﷺ مساعداً له، باعتباره إماماً، والله تعالى قدّم النبوّة على الإمامةِ، بدليل أنَّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ﷺ كان يتعلّم ويتّبع النبي محمد ﷺ؟! وكذلك أوصياء الأنبياء جميعاً يتّبعون نبي زمانهم ثم يقومون بمهمة خدمة النهج الإلهي بعد رحيل النبي إلى الرفيق الأعلى؟!



فمع وجود نبيٍّ كعيسى ﷺ وإمام كالمهديّ ﷺ وعبدٍ صالح كالخضر ﷺ. فلا بُدَّ للعقل أن يقول بوجوب تقديم النبيّ لقيادة النهضة الإلهية أليس كذلك؟ سؤال رائعٌ قال السيّد حسن، وفي محلِّه ومكانه، ويعبّر عن ذكاء هؤلاء الأولاد وطلبهم المعرفة عن دينهم وقضاياه المهمّة، ثم أجاب عن استفسارات نافع بما يلي:

صحيح جداً ما تقوله يا ولدي نافع، فالإمام يتّبع نبيّ زمانه، وبما أن السيّد المسيح ﷺ سيظهر مع الإمام المهدي ﷺ في ذات الفترة، فالعقل من أوّل وهلةٍ يقول بوجوب قيادة النبي للأمة ،وضرورة أن يتبعه الإمام والعبد الصالح. ولكنّ الأمر مختلف في زماننا ، وسيكون الإمام المهدي ﷺ هو القائد، ويساعدهُ النبيّ عيسى المسيح ﷺ والعبد الصالح الخضر ﷺ وكلّ المؤمنين الرساليين؛ وذلك لأنَّ الزّمن والعصر الحالي والذي سيظهر فيه إمامنا المهدي ﷺ ،هو زمن وعصر الإمامة وليس زمن وعصر النبوّات. فقد انتهى عصر النبوّات والرسالات بخاتم الأنبياء والمرسلين رسولنا الكريم محمّد المصطفى ﷺ وبدأ عصر الولاية والإمامة.



رائع، أوّل كلمةٍ قالها زيد، وأضاف: صحيح، فلو أنّنا قلنا بقيادة المسيح ﷺ فإنَّ الأمر يعني أننا لم نؤمن بأن الرسول الكريم محمد المصطفى ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهذا الأمر يخالف القرآن الكريم والعياذ بالله، ثم استأذن زيد من السيِّد حسن وزملائه أن يضيف شيئاً آخر للحديث فسمحوا له وكلّهم انتباه له، فقال: لقد شحذ ذهني وعقلي هذا النقاش الجميل، وتذكرت أن لا مانعَ من قيادةِ عبدٍ صالح كالخضر ﷺ لنبيٍّ مرسلٍ كما جاء في القرآن الكريم من قضية نبيّ الله موسى ﷺ وسيره للقاء العبد الصالح، وكيف كان يأمره أن لا يسأل عن كل فعلٍ يفعله مهما كان، وكان الخضر ﷺ يتصرّف والنبيّ موسى ﷺ ينظر، فغيّب الخضر غلاماً من أبويه ثم بنى جداراً في قريةٍ لم تطعمهما، وبعد ذلك خرق الخضر ﷺ سفينةٍ ركبوا بها، كل ذلك والنبي لا يتصرف، وهي قضية معلومة ومعروفة للجميع، وكانت في زمن النبوّات وقبل انقضائها ودخول عصر وزمن الإمامة.



تبسّم كلُّ الأولاد وكانت علامات استفهام وتعجّبٍ ترتسم على وجوههم، وهم بانتظار ردّ وجواب السيّد حسن على كلام وحديث زميلهم زيد. كان السيّد مبتسماً ابتسامة صادقة وتنمّ ملامحه وأساريرهُ عن رضىً وسرور، وقال معقِّباً:

ذلك صحيح، وإنّما اتبع النبيُّ موسى عليه السلام عبداً صالحاً من عبادِ الله تعالى هو الخضر عليه السلام بأمرٍ من الله تعالى.

فامتثل النبيُّ لأوامر خالقِهِ وباعثه نبيّاً، ويكون الاتّباع في زمن النبوّاتِ من نبي لعبدٍ صالحٍ على وجوهٍ، منها أنّها إلهية والنبي لا يعصي ربّه ويُنفّذُ ما يأمره به.

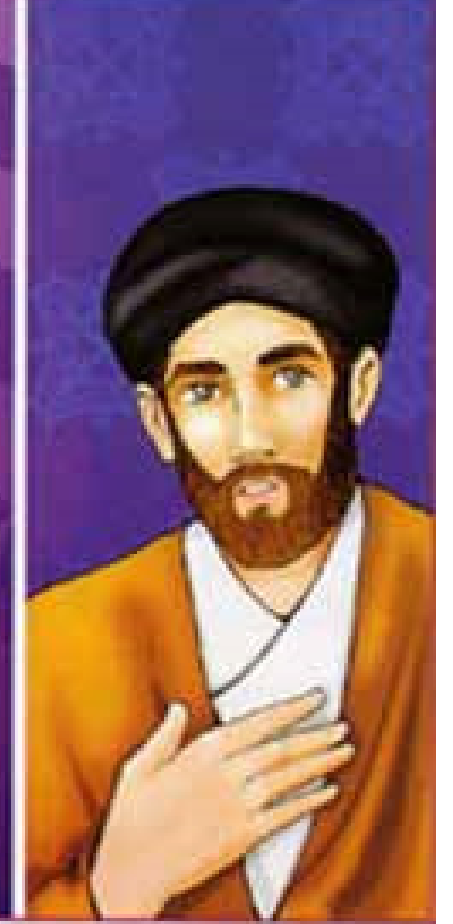
وكذلك يكون الاتّباع في قضيّةٍ جزئيّةٍ معينةٍ، كما في قضية نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، وليس أن يحلّ العبد الصالح أو الإمام محلّ النبي ليقوده في بعثته التي نسميّها القضية العامّة أو الكليّة.

وإلاّ ما فائدة النبيّ إذا اتّبع عبداً صالحاً في كلّ القضايا والأمور؟!



وهنا قال فوّاز للسيّد حسن: كيف تربط يا سيدنا ما قلته بقضيّة ومسألة الانتظار؟ فأجاب السيّد: إنَّ كلّ ما قلناه وتحدَّثنا عنه له علاقة بمسألة انتظار الإمام المهدي عليه السلام، وذلك لنعرفَ أنَّ قضيّة المنتظر عليه السلام وكذلك بقاء بعض الأنبياء والأوصياء والصالحين أحياء، إنَّما هي أمرٌ إلهيٌّ يجب التصديق به، ونكرانه يعني نكران جزءٍ من الدين، فنحن لا نؤمن ببعض القرآن ونترك بعضاً لا نؤمن به، بل هو كلّه من عند الله تعالى، ونحنُ نؤمن بكلِّ ما جاء في كتاب الله العزيز، وسنّة رسوله الصّحيحة؛ لأن الرّسول صلى الله عليه وآله ما ينطق عن الهوى والعاطفة ومن تلقاء نفسهِ في أمور الدين والأحكام والعقائد، بل إنَّ الله تعالى يوحي إليه بهذه الأمور التي يتوقّف عليها مستقبل البشرية، وتبليغ النبيِّ لرسالة السماء إنّما هو من أداء واجباته، وقد ركّز الرسول الكريم صلى الله عليه وآله على قضيّة الإنتظار والإمام المهديّ عليه السلام كثيراً في أحاديثه، وتبعهُ على ذلك أئمة الهدى عليهم السلام وقال صلى الله عليه وآله: ﴿المهديُّ رجلٌ من وُلدي﴾ وعشرات الأحاديث الأخرى.

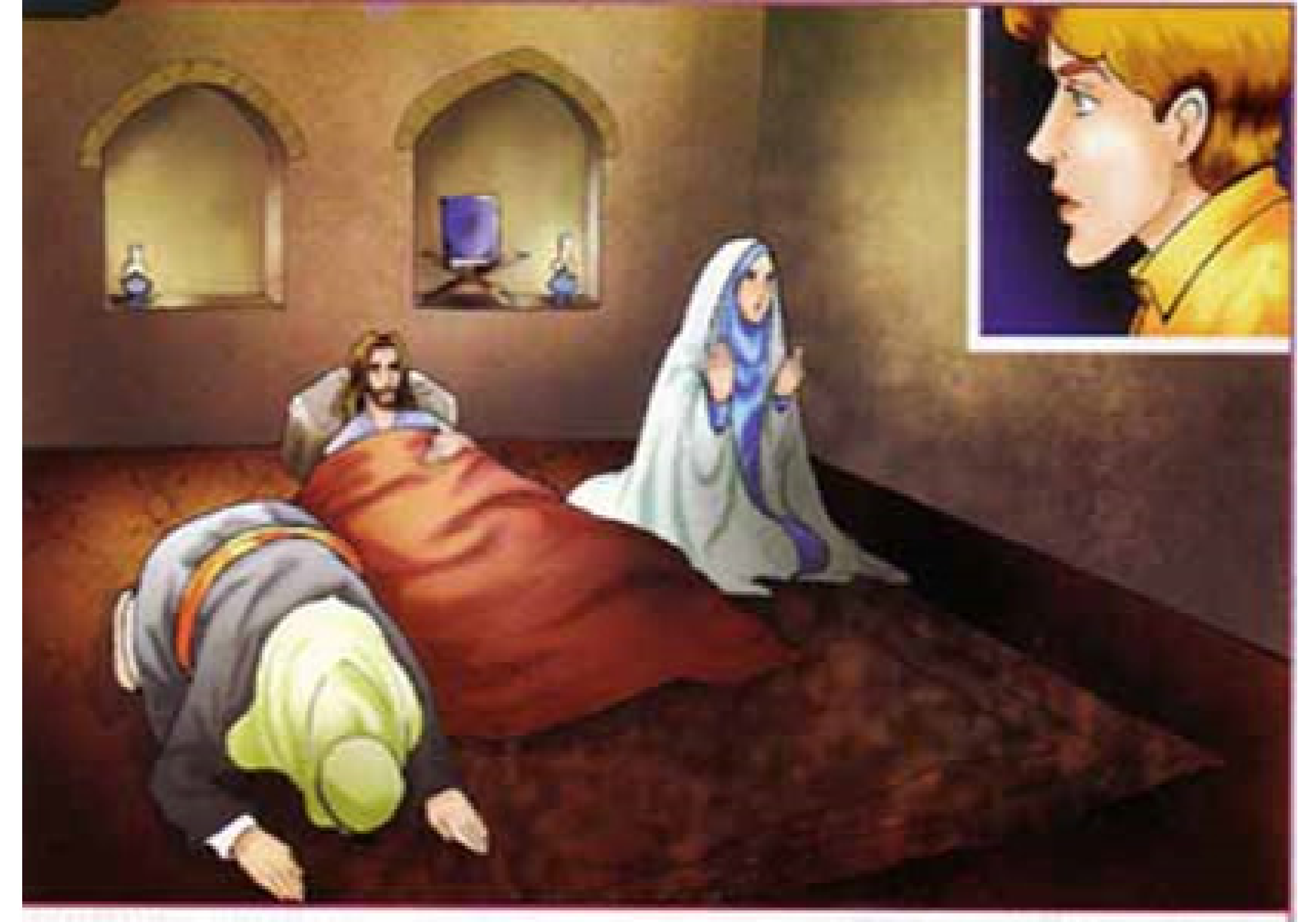




والإمامـة منصبٌ إلهـيّ، ليس للناس دخلٌ فيه أو فـي تعيين الإمام، وهي تشبه النبوّة ولكنها أدني درجة منها، فهل يجوز للناس أن يختاروا نبيّاً من بينهم؟ قـال الأولاد: كلا، بل جميع الأنبياء اختارهم الله تعالى. قال السيّد حسن: حسـناً، ألم يقُل رسول الله ﷺ: ﴿أنا سيّد المرسلين، وعليٌّ سيّد الوصيين، وأنّ أوصيائي إثنا عشر أوّلهم عليُّ بن أبي طالب ﷺ وآخرهم القائم ﷺ؟﴾قال الأولاد: نعم قـال ذلك. فأجابهم السـيّد: إذا أنكرنا هذا الحديـث ومئـات الأحاديـث الأخرى عـن الرسـول ﷺ والأئمة ﷺ بخصوص صاحب العصر والزمان ﷺ، فإننا أنكرنا جزءاً من نبوّةِ محمد ﷺ والعياذ بالله.

وعندما أخبرتنا هذه الأحاديث أنّه سـيغيب ،صرنا ننتظره ونعمل من أجل طلعته الرّشيدة، فنكران الإنتظار نكران لأقوال رسولنا الكريم ﷺ وعترته الطاهرة التي طهّرها الله تعالى وأذهب عنها الرجس، فهل يجوز هذا؟!

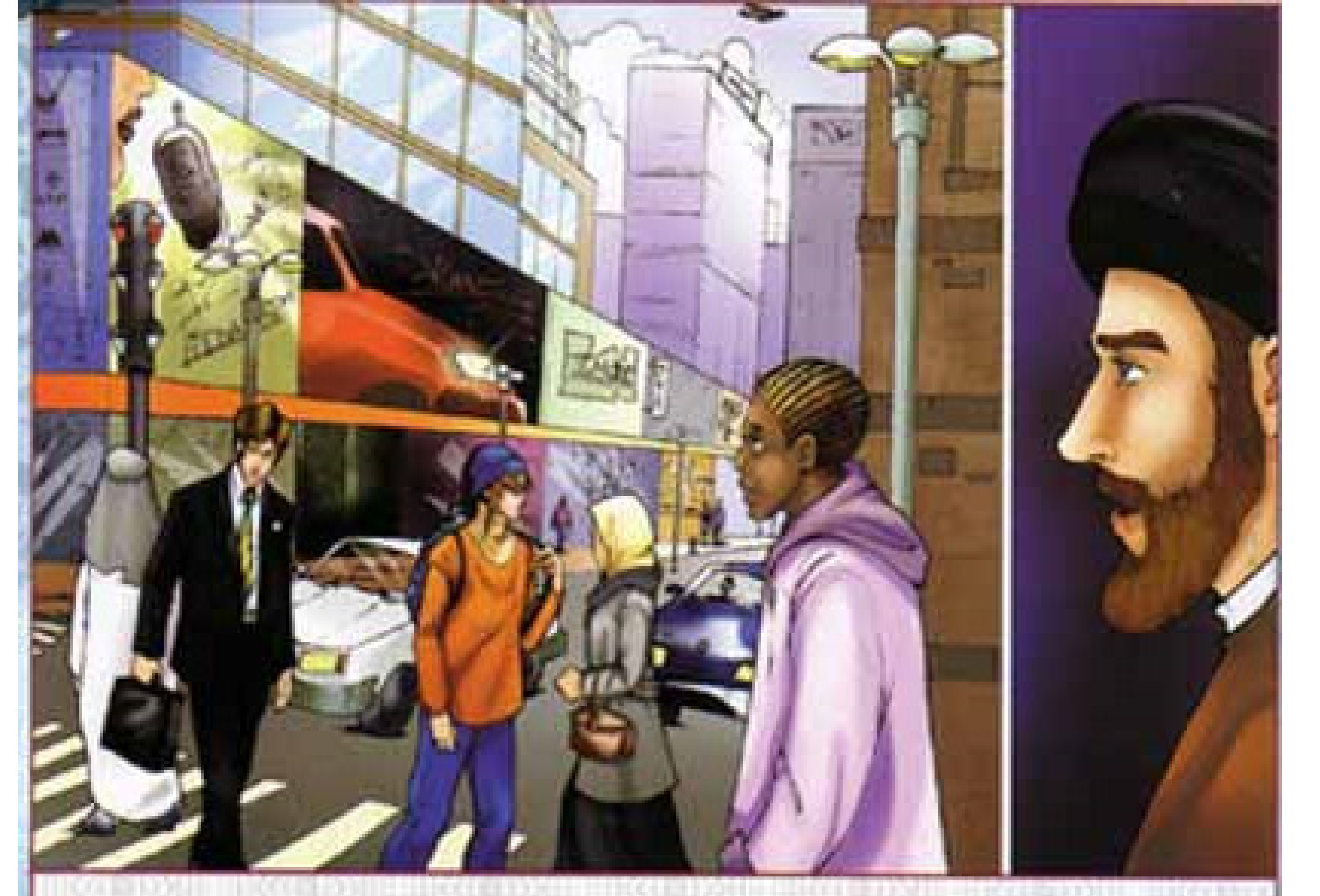
قال الأولاد: كلا، لا يجوز.



قال إحسان: حسناً سيِّدنا، ماذا يعطي الانتظار من حالاتٍ إيجابيَّةٍ للإنسان، لنردَ على الذين يقولون أنَّ الانتظار حالة سلبيَّة تعطِّل الطاقات؟ قال السيِّد: إنَّ للانتظار فوائد لا يمكن حصرها، فعلى المستوى الرُّوحيِ والمعنوي هناك فوائد أخرى، وعلى مستوى الحياة والبناء والحضارة هناك فوائد وسأتحدَّث عن بعضها، لأنّنا لا يمكن أن نتحدَّث عنها جميعاً خلال ساعاتٍ معدودة. وهنا توقَّف السيِّد قليلاً، بينما ساد صمت الانتظار على وجوه الأولاد وهم بانتظار ما سيقوله السيِّد حسن. فسأل السيِّد الأولاد هذا السؤال: هل يُجزي الله تعالى العبدَ المسلم ثواباً إذا كان عابداً لله، ومطيعاً له، وعاملاً من أجل الدين؟ قال زيد: بالتأكيد يا سيِّد، فالله كريم ويثيب هكذا عبد ويُحسن إليه في الدنيا والآخرة. حسناً قال السيِّد ثم سأل سؤالاً آخر: لماذا اعتبر الله تعالى أنفاس الصائم تسبيحاً حتى لو كان نائماً ويثيبه عليها، رغم أنّها أنفاس شهيقٍ وزفيرٍ؟ قال نافع: لأنَّ الصائم حتَّى لو كان نائماً، فإنّه مُمتثلٌ لأوامر الله، وممتنع عن الأكل والشرب طاعةً لله.



شكر السيّد زيداً ونافعا على إجابتهما الجيّدة عن سؤاليه، وقال: لقد عرفنا من خلال حديثنا أنّ الإمام المهديَّ ﷺ ومسألة الانتظار قضيّة إلهيّة ،وقد بشّرَ بها القرآن الكريم في العديد من آياته البيّنات، وذكرها رسول الله ﷺ والأئمة في العشرات من الأحاديث الشريفة، وأمرنا القرآن وهو كتاب الله عزَّ وجلَّ، والنبيّ الكريم ﷺ وأئمة الهدى بهذا الانتظار والإيمانِ بقضية ظهورِ الإمام المهدي ﷺ. إذاً فالمنتظِر للإمام المهدي ﷺ مُمتثلٌ لأوامر الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ، ومسألة الانتظار في النتيجة هي عملية استغراقٍ دائمةٍ بالعبادةِ والطاعةِ لله ورسوله ﷺ والأئمة ﷺ، ويحصلُ المُنتظِرُ على الثَواب والأجر الدائم، مَثَلُه مَثَلُ الصائم النائم الذي أنفاسه تسبيح فيها الثواب والأجر، وهذه واحدةٌ من الإيجابيات التي هي عكس السلبيّات، والإنتظار كغيره من العبادات والطاعات التي إذا انشغل الإنسان بها يجزيه الله ثواباً، إذاً مسألة الانتظار واحدة من الرحمات الإلهية ومن ألطاف الباري عزَّ وجلَّ للإنسان.

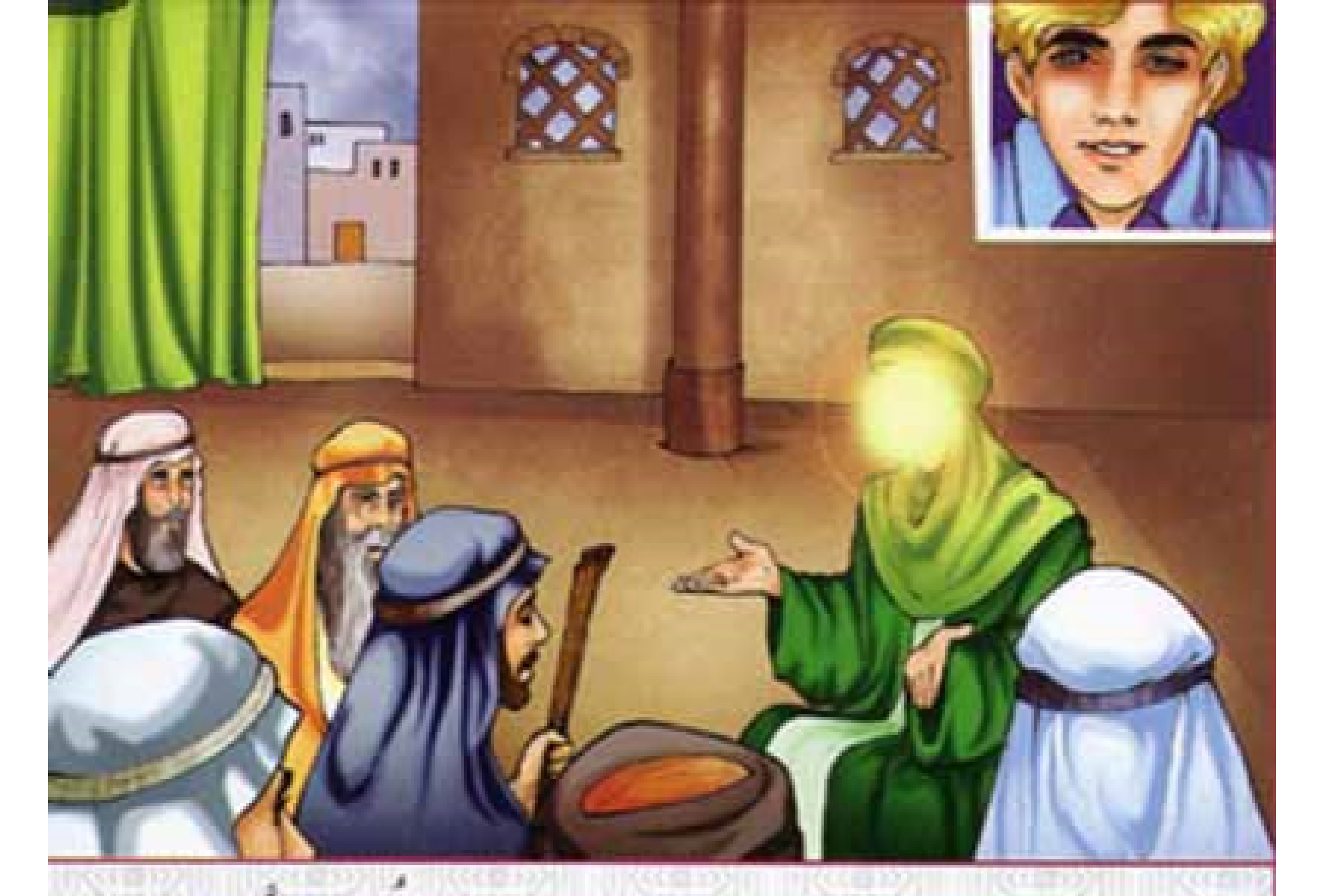


قال فوّاز وهو مبتسم: هذه واحدة من منافع الانتظار الإيجابيّة على مستوى عبادة الشخص وطاعته لله، فما هي آثار مسألة الانتظار على المستوى الحضاري الإنساني كما ذكرت؟!قال السيد مجيباً: كما تعلمون أن الحضارة هي مجموع ثقافات أفراد المجتمع، كما يعرّفها البعض، إذاً فالحضارة نتاج وحصيلة ما تفرزه ثقافة أي مجتمع، والثقافة كما تعلمون يا أولاد هي السلوك الراقي، وهل يتحقق سلوك الإنسان الراقي في الأرض بغير طاعة الله تعالى؟!قال الأولاد: طاعةُ الله تعالى هي السلوك الراقي للإنسان.

وسأل حنان: لو أوضحت لنا الأمر أكثر يا سيّد!!تبسّم السيد حسن وقال: من خلال السير بالتعاليم الدينية والشرعية التي أمرَ الله تعالى الإنسان بها تَتحقّق التقوى لدى الإنسان، وتعرفون أنّ التقوى هي ثقافة الإنسان، فإذا ازدادت ثقافته بأمور دينه وتعاليم القرآن الكريم وسنّة الرسول ﷺ الصحيحة ونهج الأئمة الأطهار تزداد تقواه.



وأهمَ قضيَةٍ في مسألة الانتظار للإمام الغائب ﷺ هيِ التَقوى، فهل تعتقدون أنَ الفجّار والكُفّار وعديمي التقوى ينتظرون إمامَ حقٍّ وعدلٍ ونصيحة؟ قال الأولاد: كلّا، ذلك لا يكون. فسألهم السيِّد: ومن هم الأفضل في المجتمع، أهل التقوى أم أهل الفجور والكفر؟ قال زيد: لا شكَّ أنَّ أهل التقوى هم أفضل من الفجّار والكفّار، فهم لا يخونون، ولا يغدرون، ولا يعيثون في المجتمعات، ويساعدونِ الضعفاء في المجتمع، ويعلِّمون الناس العِلمَ النافعَ، ولا يكذبون أو يغشّون، وكثيرة هي صفاتهم الرائعة والجيِّدة. فقال السيِّد: شكراً يا زيد على إجابتك، فإذا كان المتّقون ينفعون المجتمعات ولا يضرُّونها، وإذا كانت مسألة التقوى كما قُلنا من أهم قضايا مسألة الانتظار، وحثَّ رسولنا وأئمتنا على التقوى، فهل مسألة الانتظار مسألة إيجابية أم سلبية في المجتمع، إذا علمنا أنَّ أهم ركن فيها هو التُّقى؟ قال نافع: بل هي مسألة إيجابية، والآن بدأت أفهم وأعي أنَّ الذين يقولون [illegible]ألة الانتظار مسألة سلبيّة ليس لديهم الوعي والثقافة الكافية.



تبسّم حسّان وقال للسيّد حسن: وهل جرَت مثلُ هذه النّدوات بين المؤمنين بمسألة الانتظار وأحد الأئمة المعصومين عليهم السلام؟!

قال السيد: نعم حَدَثت وجَرت المِئات مثلُ هذه النّدوة الصغيرة بين أئمتنا عليهم السلام وأتباعهم ومحبيهم. فقد قال جماعة من الشّيعة للإمام الصّادق عليه السلام وفيهم رجلٌ أعمى يُسمى (أبا الجارود):

يا ابن رسول الله، أخبرنا بدِينِكَ الذي تَدين الله تعالى به أنتَ وأهل بيتك، لنأخذه ونَدين الله تعالى به. فقال الإمام الصّادق عليه السلام: والله، لأعطيَنَّك ديني ودِين آبائي الذي نَدين الله تعالى به: شهادةُ أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، والإقرارُ بما جاء به من عند الله، والولايةُ لوليّنا، والبراءة من أعدائنا، والتسليم إلى الله في أمرنا، وانتظار قائمنا، والاجتهاد والورع. فقال حسّان: حقّاً أنّ الأئمة عليهم السلام علّمونا وأمرونا بالتّقوى والثّقافة التي تنفع المجتمع وتنفع الفرد أيضاً. فقول الإمام الصّادق عليه السلام قول حضاري إيجابيّ، وليس فيه سلبيّة أبداً.



وهنا بادر زيدٌ للسؤال من السيِّد: وهل هناك تعليمات واضحة من الأئمة الكرام ﴿عليهم السلام﴾ لأتباعهم والمؤمنين بمسألة انتظار القائم ﴿عجل الله فرجه﴾ تنفع في البناء الحضاري للمجتمعات؟ قال السيِّد: نعم، هناك الكثير، فقد قال الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾ يوصي جماعةً من المؤمنين الرِّساليين السائرين على نهج الرِّسالة المحمدية والولاية، ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) صاحب رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وذلك بعد أن سألوه أن يوصيهم بوصايا، فقال ﴿عليه السلام﴾: «ليعِن قويّكم ضعيفكم، وليَعطِف غنيّكم على فقيرِكم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا... فإذا كنتم كما أوصيناكم ولم تعدوا (تميلوا) إلى غيره، فمات منكم ميِّت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيداً، ومن أدرك قائمنا فقُتِلَ معه له أجر شهيدين، ومن قتل بين يديه عدواً لنا كان له أجر عشرين شهيداً». فحديث الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾ هذا يحدِّد سلوكيَّة وأخلاق الإنسان المنتظِر للإمامة، وهذا شيء حضاري يُساهم في بناء المجتمعات بناءً سليماً وهذه من الأمور الإيجابية أيضاً.

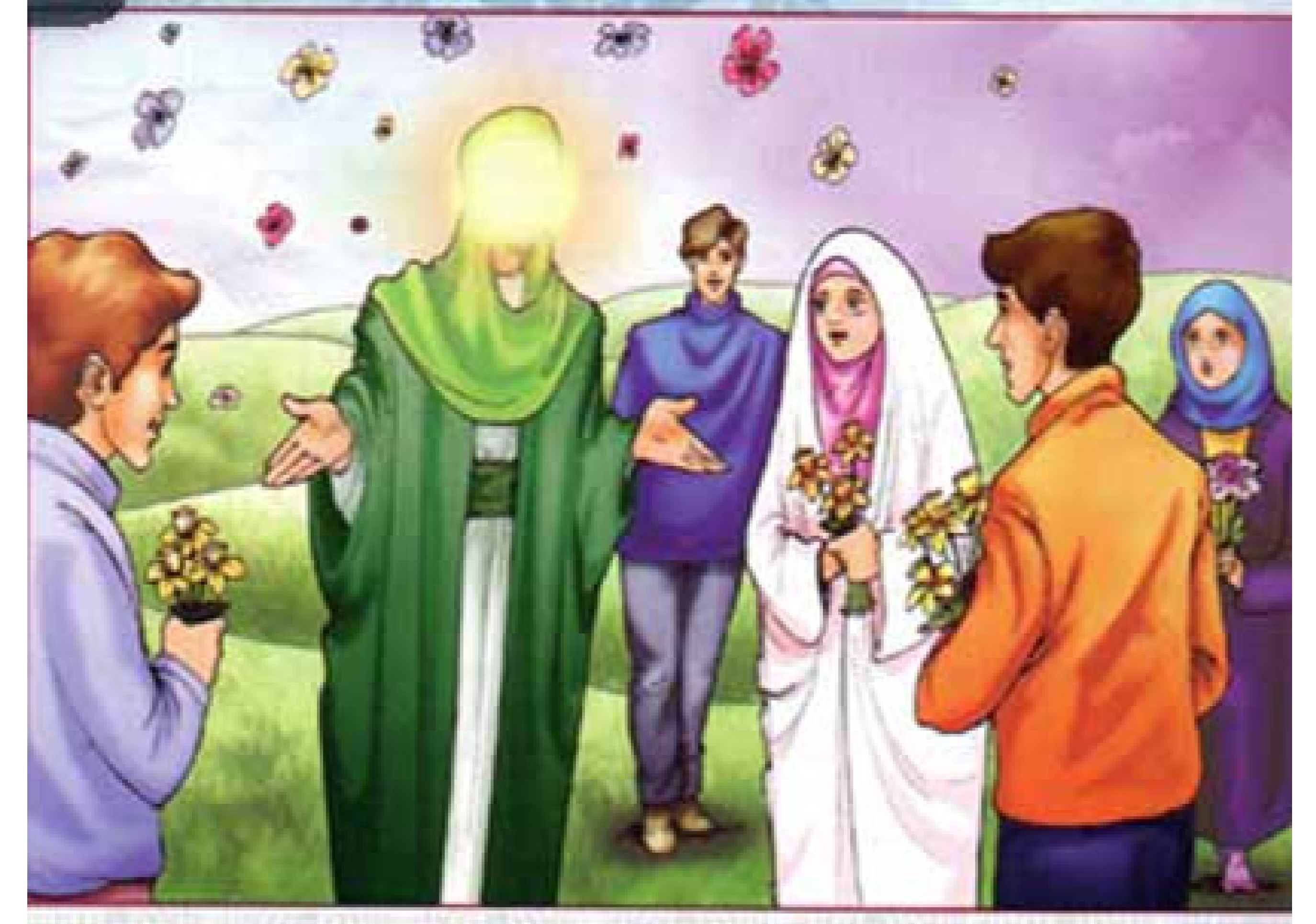


وهنا سأل فوّاز سؤالاً مهمّاً هو: ما الشيء المُهمُّ الذي يُميّز أتباع أهل بيت النبوّة المتطلعين لانتظار اليومِ الموعود؟!

استحسن السيِّد حسن سؤال فوّاز استحساناً جميلاً، وأجاب: إنَّ أهمَّ ما يميّز المنتظرين لإمامهم ﷺ هو الاستقرار النفسي الذي يُميّزهم عن غيرهم. أراد فوّاز أنْ يفهمَ أكثر، فسأل ومِن أين أتاهم هذا الاستقرار النفسيّ الذي يميّزهم عن غيرهم؟! قال السيِّد: هذا الاستقرار النفسيّ والطمأنينة متأتّية من حالة الاطمئنان المنبعثة من التطلّع إلى مستقبل مشرقٍ تتكون صورته في عقل وذهن المؤمن المنتظِر لإمامه، الذي سيعيد الحق والعدل إلى الأرض. فحالات عدم الاستقرار في الأوطان، والتشرّد والسُّجون والتّعذيب الذي تعرّض له أتباع مذهب أهل البيت ﷺ، ليست ذات أثرٍ كبيرٍ على نفوسهم ما دامت هذه الأعمال التي يتعرضون لها في سبيل الله وخدمة دينهم، وفي نفوسهم آمال في قيام دولةِ الحقِّ مهما فعل الظّالمون والمستكبرون.



قال زيدٌ: حقاً يا سيِّدنا الجليل ما تقول، فالإنسان المؤمن الذي يعيش الأملَ في نفسه لا يهمُّه مهما فعل الكافرون، ما دام يؤمن أنَّ هناك ربّاً عزيزاً قوياً يرى، وأنّ هذا الربَّ الرحيم سيمُنُّ على المستضعفين بدولة قائمهم المنتظرة بإذن الله تعالى. شكر السيِّد زيداً على مداخلته اللطيفة في الحديث، وأضاف: إنَّ مسألة الانتظار هي مسألة طموح، ويسعى المؤمن المنتظِر لإمامه للعمل دائماً في حيويةٍ ونشاطٍ وطمأنينةٍ، وهو غير مُحبَطٍ أو مهزومٍ أو مشلولٍ ولا تؤثّرُ فيه كلُّ ما تمرُّ به من محنٍ ومصائبَ وويلاتٍ على أيدي الكافرين والمنافقين وأصحاب الشياطين. لذلكَ ترون يا أولاد أنَّ الإنسان أو الجماعة الطموحة تحقّق النجاحاتِ دائماً، رغم كلّ ما يمرّ بها من صعاب، وما دمنا نؤمن بقضيةٍ إلهيةٍ عادلةٍ وحتميةٍ في نفس الوقت، وهي قضيّةُ ظهور الإمام المعصوم الغائب بأمرٍ ووعدٍ من الله الذي لا يخلف الميعاد، فترانا ننجح دائماً، وحافظنا على وجودنا رغم ما مرّت بنا من محنٍ كثيرةٍ.



تبسّم نافع وقال: هذه أهمُّ الأمور الإيجابية في مسألة الانتظار، فإذا لم يُسيطر اليأسُ على الإنسان فإنّه يُحقّق النجاحَ تلو النجاح، وقد فهمتُ من حديث السيّد الجميل أنّ الإمام المهدي ﷺ هو صمّام الأمان ضدّ اليأس، وهو في نفس الوقت نهرُ الأمل والطموح، والنّور الذي يطردُ الظُّلمةَ من عقل وتفكير الإنسان والمجتمع. وقال حسّان: وأنا تعلّمتُ أيضاً أنّ أيّ إخفاق أو تعثّرٍ يُصيبُ عملَ المنتظرين لإمامهم ﷺ لن يُسلمهم لليأس والقنوط والتّردّد، طالما هناك الأمل الذي سيحقّقه لهم إمامهم المنتظَر ﷺ، ويقيم الدولة المهدويّة الإلهيّة الكبرى ذات العدل والحقّ والنور. وقال فوّاز: وأنا تعلّمتُ أيضاً أنّ المنتظرين لإمامهم ﷺ هم دائماً في حالة طموح و إبداع وتفكير متجدّد. وقال زيد: لا شكّ أنّ حالة الأمل والاستقرار النفسيّ والطمأنينة، خيرٌ من الانهزام والقنوط والتراجع والشّلل. وهذه الصفات الأخيرة من صفات غير المنتظرين، كما نرى في عالم اليوم من مهازل أخلاقية وانتحارات وحروب.

شكر السيِّد حسن كُلَّ الأولاد الذين حضروا إلى بيته للسؤال عن معنى الانتظار، وأكبرَ فيهم روحهم الطُّموحة وقال لهم: إنَّ حضوركم اليوم هنا وتوجيه الأسئلة حول هذه القضية والمسألة المهمَّة من قضايا وأمور ديننا الحنيف، والتي تدلُّ على ارتباطكم واهتمامكم بقضيَّة الغائب المنتظر ، وفي آخر حديثه قال السيِّد: سأعطيكم فائدةً أخرى مهمَّة وهي من الأمور الإيجابية في مسألة الانتظار، بل مسألة حضارية مهمَّة تميِّز الجماعة المنتظِرة لإمامها عن غيرها، وهي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تُساعد المُجتمعات على التماسُك وتمتين أواصر المحبَّة والشعور بالمسؤوليَّة نحو بقيَّة أفراد المجتمع، فالنهي عن المنكرات يُصلح المجتمع ويعوِّده على عدم ارتكاب الأخطاء والمحرَّمات، وكذلك يعمل المنتظرون بالمعروف، كإقامة الصلاة والواجبات الدينيَّة للوصل بالمجتمع إلى حالةِ العبادة لله وطاعته، فهل كلَّ ما سمعتموه اليوم حالة سلبيَّة؟!

قال الجميع: كلَّا، بل مسألة الانتظار إيجابيَّة.

وهي أفضل العبادات.

اللَّهُمَّ عَظُمَ البلاءُ، وَبرِحَ الخفاءُ، وانْكشفَ الغطاءُ، وَضاقتِ الأرْضُ بِما وسِعتِ السَّماءُ، وإليْكَ يا ربِّ المُشتكى، وعَليْكَ المُعوَّلُ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ. اللَّهُمَّ صلِّ على مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ الَّذينَ أمرْتنا بطاعتِهِمْ، وَعجِّلِ اللَّهُمَّ فرجَهُمْ بِقائمِهِمْ، وأظْهِرْ إعْزازَهُ، يا مُحمَّدُ يا عليُّ، يا عليُّ يا مُحمَّدُ، إكْفياني فإنَّكُما كافِياي، يا مُحمَّدُ يا عليُّ، يا عليُّ يا مُحمَّدُ، أنْصُراني فإنَّكُما ناصِراي، يا مُحمَّدُ يا عليُّ يا عليُّ يا مُحمَّدُ إحْفظاني فإنَّكُما حافِظاي، يا مَولاي يا صاحِبَ الزَّمانِ، يا مَولاي يا صاحِبَ الزَّمانِ، يا مَولاي يا صاحِبَ الزَّمانِ، الغوْثَ الغوْثَ الغوْثَ، أدْرِكْني أدْرِكْني أدْرِكْني، الأمانَ الأمانَ الأمانَ.